نقد مسرحية

« مسمار جحا »

للأستاذ أنور فتح الله

تأليف : الأستاذ على أحمد باكثير
تمثيل : فرقة المسرح المصرى الحديث
إخراج : الأستاذ زكى طليمات

افتتحت فرقة المسرح المصرى الحديث موسمها التمثيلى هذا العام بمسرحية « مسمار جحا » . واختيار هذه المسرحية يعد نقطة تحول فى اتجاه هذه الفرقة ، فقد بدأت تتجه نحو المسرحية التى تستجيب لواقع الحياة المصرية ، فتعالج مشاكلها ، وتصور آمالها وآلامها

فالمسرحية تدور حول قضية البلد الأولى . . قضية الحرية والاستقلال . وقد اختار المؤلف جوا أسطوريا ليبرز فيه الموضوع ، ولجأ إلى الرمز للقضية المصرية ، بقضية « مسمار جحا » . واستغل شخصية « جحا » الساخرة ليعبر بلسانها عن آلام المجتمع وأمانيه ، وليبين بمنطقها القوى الساخر وجه الحق ووجه الباطل فى قضية الحل والقلب

ولم يتخير المؤلف شخصية معينة لجحا . . بل اختار شخصية خيالية ليتحرر من النطاق التاريخى الضيق . ومع هذا فإن شخصية جحا التركى كانت أقوى الشخصيات الجحوية تأثيراً عليه

ويجدر بنا — قبل أن نعرض للمسرحية — أن نبادر فنسجل للأستاذ باكثير فضل السبق فى إبراز شخصية جحا الساخرة فى عمل فنى . وكذلك نسجل له توفيقه فى اختيار الموضوع الحى الذى تتحرك فيه هذه الشخصية ، وبهذا توافر له ما لم يتوافر لغيره من عوامل النجاح ، وهو الشخصية الروائية المحبوبة من الشعب ، والموضوع الحى الذى يشغل الأذهان ، وخاصة فى هذه الأيام

والمسرحية تصور حياة جحا من جانبين : الجانب العام ، والجانب الخاص

أما الجانب العام ، فيصور الصراع بين جحا والشعب من ناحية ، وبين المستعمر ممثلا فى الوالى والحاكم من ناحية أخرى . وأحداث المسرحية الرئيسية تسير فى هذا الخط لتحقيق الغرض الأول الذى يهدف إليه المؤلف ، وهو علاج القضية التى تتصل بصميم الواقع المصرى

أما الجانب الخاص ، فيصور الصراع بين جحا وامرأته ، ومن وراء جحا ابنته ميمونة ، وابن أخيه حماد . وتسير أحداث هذا الخط لتحقيق الغرض الثانى من المسرحية ، وهو تصوير الجانب الإنسانى فى حياة جحا . ويبدو لنا أن المؤلف قد اعتمد على هذا الجانب ليستغل هذه الشخصية المرحة الساخرة فى إثارة الضحك

وسنستعرض المسرحية ، ونتتبع المؤلف فى هذين الخطين لنرى إلى أى حد وصل إلى تحقيق غرضه.

. . فى مدينة الكوفة . . نرى «جحا» يمقظ الناس أمام أحد المساجد . . وعندما يتبين للوالى أنه يبصر الناس بما هم فيه من بؤس ، يعزله من عمله . . ويعود جحا إلى داره خائفا من زوجته السفيهة . . السليطة اللسان . . فيقابله ابن أخيه حماد ويشير عليه بأن يعمل فى زراعة الأرض ، وعندما يوافق جحا على ذلك ، يسمع دق الطبول . . وإذا بالجراد قد سدت أرجاؤه الأفق . . وأتى على زرع البلاد !

. . ويثور الفلاحون على الملاك ، ويقود حماد الثورة ، ويفاوض جحا الحاكم المستعمر ، فيخلص الثوار من ظلم الملاك ، ويعينه الحاكم قاضيا لقضاة بغداد . . ونرى زوجته « أم النصن »

وقد صارت أخلاقها أسوأ مما كانت ، وأفسدها البطر ، وقد جعت الخاطبات ليبحثن لابنتها عن زوج ثرى . ويأبى حماد ، فيخبره جحا بأنه قد عزم على أن يقوم بعمل خطير من شأنه أن يجلى المستعمر عن البلاد ، وذلك بأن يهيئ السبيل لتعرض أمامه قضية تشبه قضية البلاد ، فيشغل بها الرأى العام ، ثم يفصل فيها بما يبطل حجة الناصب الدخيل ، ويتفقان على أن يهب جحا داره لحماد ، فيبيع حماد الدار ، ويشترط على مشتريها أن يبقى له حق التمتع بمسمار فى جدارها ! .

... وتعرض على جحا قضية المسمار ، ويشهد الحاكم الأجنبى المحاكمة . . ويثور الشعب على صاحب المسمار ، وينتصر لصاحب الدار فيصيح حماد فى الناس قائلا « ويلكم ، ترون المسمار الصغير ، ولا ترون المسمار الكبير ! . هذا صاحبه فيكم ، مروه بنزعه أو فانزعوه بأيديكم ! . » وهنا ، يأمر الحاكم بالقبض على جحا ، ويفر حماد

... ويذهب الحاكم إلى السجن ، ليطلب من جحا إخماد الثورة ، ودعوة الشعب إلى السكينة ، فيطلب منه جحا أن يجلو وجنوده من البلاد ، فيأبى الحاكم

... وتشتد ثورة الشعب ، فيضطر المستعمر إلى الجلاء ، ويخرج جحا من السجن ، ويزوج ابنته من حماد ، رغم أنف امرأته

هذا هو الخط الرئيسى للأحداث الذى يصور الصراع الأول فى المسرحية

ويتتبع هذا الخط نرى أن المؤلف قد أذاع سر مؤامرة جحا وحماد قبل عرض قضية المسمار ، وبهذا قضى على عنصر التشويق فى أهم أحداث المسرحية . فأضاع الأثر القوى لهذا المشهد الذى يرمز لقضية البلاد

كذلك أفسد دخول امرأة جحا فى مشهد القضية من حرارة الأثر النفسى ، فأبطل فعل الأحداث السابقة لدخولها ، وحول انتباه المشاهد عن قضية المسمار ، وهى قضيته ، إلى شكوى أم الفتى من زوجها ، فقضى المؤلف بهذا على التركيز الذى يجب أن يوجه انتباه المشاهد إلى القضية

ولقد كان مشهد مقابلة الحاكم لجحا فى السجن طويلا ، فطال بذلك حديثهما عن الجلاء حتى أصبح الحوار مباشرا بعد أن كان رمزيا ، ومال إلى النغمة الخطابية ، وفقد بذلك الضباب الذى يكسو العبارات الرمزية التى تلمح للواقع فتجذب انتباه المشاهد ليتبين نفسه من وراء هذا النقاب الخفيف

هذا . . وبخروج جحا من السجن ، بعد أن جلا المستعمر عن البلاد ، تنتهى الأحداث الرئيسية للمسرحية ، وبذلك تنتهى المسرحية دراماتيكيا . ولهذا فلا تأثير للأحداث اللاحقة . وكان من الخير أن تنتهى المسرحية فى نهاية المنظر الخامس ، وذلك لأن الحركة فى المنظر السادس بدت بطيئة مملة لانصدام ما يشوق المشاهد أو يجذبه

... أما الخط الثانى ، الذى يصور الصراع بين جحا وامرأته ، والذى أراد المؤلف من ورائه أن يثير الضحك فيتلخص فى إبراز سفاهة أم الفتى وشراستها فى معاملة جحا ، وكراهيتها لحماد ، واستعانتها بالخاطبات ليبحثن لابنتها عن زوج ثرى . وقد استنفد إبراز هذه النواحى جزءا كبيرا من المنظر الثانى ، والثالث ، والرابع ، والمنظر السادس بأكمله تقريبا . وقد أدى هذا التكرار فى تصوير اللون الواحد فى هذه المناظر إلى ركود الحركة المسرحية ، وانصدام التأثير على المشاهد ، فبدت هذه الأجزاء مملة إلى حد الضيق . وقد خلا أغلب هذه الأجزاء من المفارقات الطبيعية التى تشيع المرح وتثير الضحك ، وذلك لأن المؤلف اقتصر على تصوير الشجار بين جحا وامرأته ، وتكرار هذا الشجار فى صورة واحدة تقوم على الشتائم من ناحية أم الفتى ، وردود جحا الفلسفية من الناحية الأخرى

أما شخصية ابن جحا « الفتى » فقد خلقها المؤلف ليثير الضحك أيضاً ، وأورد على لسانها بعض نوادر جحا المعروفة ، كتغريبه الخاطبات فى أخته بقوله إنها حامل فى شهرها

السادس ... وقد أبرزه المؤلف أبله فى أقواله وأفعاله واقتصر على إبراز هذا اللون الواحد فى كل مشهد ظهر فيه ، فهو يبحث عن ديكه ، ثم يتخيل أنه ذبح فيبكيه ، وهو ينقلب ديكا وبهذا التكرار أبطل المؤلف الأثر الذى أراده لهذه الشخصية وهو إثارة الضحك

أما النوادر التى أوردها المؤلف على لسان جحا وابنه ، والتى استعارها من نوادر جحا التركى . فقد وفق فى وضع بعضها فى الأحداث التى تحمل لها دلالة واقعية لقضية المسمار ، وخطبة العيد ، وحديثه عن الجمال ، أما قصة القدور ، وانقلاب الغصن ديكا ، وغير ذلك من النوادر التى فقدت تأثيرها الضاحك لأنها أصبحت « قديمة » بالنسبة للشعب ؛ فكنا نرجو أن يستبدلها المؤلف بنوادر أخرى من خلقه تتصل بالأحداث وتسخر من بعض أمراضنا الاجتماعية

وبعد . فقد دفعنا تقديرنا وإعجابنا بهذه المسرحية أن نعدد مآخذها وهى قليلة بالنسبة لمحاسنها .. وأغلبها يقع فى الخط الذى يصور الصراع الثانوى .. أما الخط الذى يصور الصراع الرئيسى فقد كان أغلبه كاملا من حيث البناء ، وإنا لنحمد للمؤلف اتجاهه القوى فى عمله الفنى . .

. . وقد قام بإخراج هذه المسرحية الأستاذ زكى طليمات . . وسار فى إخراجه على المذهب الإيحائى الذى اتجه إليه فى السنوات الأخيرة . . فكان موفقا فى خلق الإطار المادى .. وبرزت رمزيته فى منظر السجن ، حيث تعاونت الأضواء الخافتة مع المنظر على إشاعة جو السجن القاتم ، الرهيب . . . وقد نجح فى تحريك المجموعة ، وأحسن استغلالها فى إحياء الجو النفسى وخاصة فى منظر المحكمة

. . . وقام الأستاذ سعيد أبو بكر بدور « جحا » . . فاستطاع بفهمه العميق لهذه الشخصية ، وأدائه الطبيعى ، أن يصور الألوان الباطنية المختلفة التى رسمها المؤلف

. . . وقام الأستاذ عبد الرحيم الزرقانى بدور الحاكم المستعمر فأفصح بحركاته الهادئة الرصينة عن قطرسة الغاصب وتبلد إحساسه وموت ضميره . . وعبر بعبارته القوية العميقة عن منطق الظالم الذى يصم أذنه عن سماع صوت الحق القوى

. . . وقام الأستاذ عبد المنعم إبراهيم بدور « الغصن » ، فنبعث الحياة فى هذه الشخصية الخفيفة ، واستطاع تجسيم خطوطها الدقيقة بأدائه الطبيعى

أنور فتح الله

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوى ، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع إحدى عشر مرة فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد